ع . ع . محمد

يرشدك إلى بلاط فخامة

ملك مملكة

البسلة

ملك البسلة

ملك مملكة البسلة

عبدالهادي عاصم محمد

٢٠٢١

نشر إلكتروني / قصة قصيرة / قبل النوم

للمزيد

صفحة ع. ع. محمد

ع. ع. محمد

ملك البسلة

كان يا ما كان يا سادة يا كرام ولا يحلى الكلام إلا بذكر النبي عليه الصلاة والسلام ...

يحكى أنه في قديم الزمان وسالف العصر والأوان كان هناك فلاح فقير يعيش في بيت صغير مع زوجته وابنه الوحيد.

ذات يوم كان الفلاح في سوق المدينة مع ابنه الصغير "سامر" والذي لم يكن قد تجاوز خمسة سنوات. مر الموكب الملكي بجانبهم وأخذ الناس يتقافزون حول الموكب محاولين الوصول للملك ليعرضوا عليه شكاويهم ويطلبوا منه المساعدة.

هال المنظر في نفس "سامر" الصغير، وقرر منذ هذا اليوم أنه يريد أن يصبح ملكا على كل البلاد ليساعد المحتاجين والضعفاء. وكانت النتيجة أنه كلما حاول أبيه تعليمه الفلاحة والزراعة لا ينجح في ذلك. أرسله إلى الحداد فعمل عنده يومين ثم طُرِدَ لأنه لم يتعلم الحرفة. أرسله إلى النجار؛ والطحان فحدث مثلما حدث مع الحداد. وهكذا حتى بلغ "سامر" خمسة عشر عاما وهو لا يجيد أي حرفة. وكلما حاول أبوه أن يقنعه بامتهان مهنة ليأكل من عمل يده، كان الفتى يرد بأنه لن يقبل بأي مهنة لأنه يريد أن يكون ملكا على البلاد؛ وأنه سيكون ملكا عادلا محبوبا لو أتته الفرصة.

ولما يئس الفلاح العجوز من محاولة تعليم ابنه أو إقناعه قرر إرساله إلى الشيخ ليقوم على خدمة المسجد ويتعلم العلوم الشرعية. وهكذا اصطحبه إلى دار الشيخ، وأوصاه أن يصبر على ابنه لأنه لا يرغب في التعلم وسيجد صعوبة في تعليمه أي شيء، لكن الشيخ العجوز ابتسم ورحب بـ"سامر" في بيته الذي يعيش فيه مع زوجته، واعتبره كابن له لأنه لم يكن لديه أبناء.

عاش "سامر" مع الشيخ لمدة عام حفظ فيها القرآن وتعلم الكثير من العلوم الشرعية وكان يبيت في المسجد ينظفه ويرعى شؤونه، لكنه كان لا يزال غير راغب في العمل ويكتفي بالطعام الذي يتصدق به الأغنياء على المعتكفين في المسجد.

لما أتم "سامر" عامه السادس عشر أرسل إليه الشيخ وأجلسه أمامه وقال له: "يا ولدي العزيز .. عندما أحضرك أبوك وأخبرني أنك لا تريد أن تتعلم ولا تجيد أي حرفة، ظننت أنك فتى أحمق لا عقل لديه، لكني رأيتك طوال العام شابا ذكيا تتعلم بسرعة ولديك خلق حسن، فلماذا لا تريد أن تتقن أي حرفة تعمل بها لتأكل من عمل يدك وتتزوج وتنجب أبناء تعلمهم مما علمك الله؟" تنهد "سامر" وقال بهدوء: "أنا فعلا أتقن حرفة مهمة جدا، وهي حرفة الحكم بعدل؛ يمكنني أن أكون ملكا عادلا محبوبا لكن فقط لو أتتني الفرصة" قال الشيخ: "أنت تعلم أن البلاد ليس لها إلا ملك واحد ورث الملك عن أبيه،

وسيرث الملك من بعده زوج ابنته الأميرة .. فكيف تريد أن تكون ملكا؟ وكيف تعرف أنك ستكون محبوبا؟!" قال "سامر": " أنا فقط أعرف ولو أتتني الفرصة سأثبت لك ولأبي وأمي .. وسأثبت للحداد والنجار والطحان أنني ملك عادل ومحبوب" قال الشيخ وقد يئس من اقناعه: "يا ولدي لقد وعدتُ أبيك أن تبقى معي عاما كاملا أعلمك فيه القرآن والعلوم الشرعية، وها أنت قد حفظت القرآن وتعلمت العلوم وأتممت العام .. أنت حر الآن؛ يمكنك الذهاب، إن شئت، ويمكنك البقاء .. لكن إن اخترت الذهاب عليك أن تعهد بشؤون المسجد إلى شخص آخر تثق فيه". اختار "سامر" أفضل شخص بعده ليقوم على المسجد وودع الشيخ وزوجته اللذان كانا بمثابة أبيه وأمه طوال العام وخرج ليشق طريقه وقد قرر ألا يعود لبيت أبيه إلا بعد أن يثبت أنه يمكن أن يكون ملكا عادلا ومحبوبا إذا سنحت له الفرصة.

سار طوال الصباح حتى وصل إلى مزرعة كبيرة مليئة بالخضروات والفاكهة. توقف قليلا حتى يستمتع بالهواء العليل ورائحة الثمار الطازجة. رآه حارس المزرعة فظن أنه متسول يريد السرقة من محصول الفاكهة. تسلل من خلفه ليمسك به، لكنه كان شارد الذهن يفكر كيف يثبت للجميع أنه يصلح أن يكون ملكا. سمعه الحارس وهو يقول: "ملك البلاد .. كيف أصل؟" فظن أنه شخص غريب عن البلاد يريد الوصول إلى قصر الملك.

أسرع الحارس إلى بيت سيده صاحب المزرعة، وكان قريبا، وأخبره أن هناك شخصا غريبا عن البلاد يريد الذهاب لبيت الملك، ولأن صاحب المزرعة كان هو أيضا يرغب في لقاء الملك والتقرب منه ليسمح له برفع أسعار المحصول الذي يبيعه للتجار لحق بحارسه إلى المزرعة حيث هذا الغريب.

في نفس الوقت كان "سامر" يتذكر ما تعلمه، أن الله يجعل الملك العادل محبوبا من كل شيء وليس فقط من رعيته. فوقف أمام محصول البطيخ وقال: "إن كنت ملكا عادلا سيتحرك البطيخ نحوي" ولأن ثمر البطيخ ثقيل لم يتحرك. ومرة أخرى وقف أمام محصول الباذنجان وقال نفس الكلام، لكن الباذنجان أيضا لم يتحرك. وأخيرا وقف أمام البازلاء وكرر نفس الكلام وهو يائس، لكن هبت رياح قوية وجعلت البازلاء تميل نحوه ففرح وأخذ يصرخ بصوت مرتفع: "أنا ملك البسلة .. أنا ملك البسلة". وكان صاحب المزرعة قد أصبح قريبا فسمع صياح "سامر" وظن أنه حقا ملك، وأنه غاضب لفقده الطريق. أسرع إليه وانحنى أمامه وقال: "أستميحك عذرا جلالة الملك .. لابد أنك فقدت الطريق لقصر ملكنا .. اسمح لي بتوصيلك". فرح "سامر" وظن أن هذا الرجل الغني رأى فيه ما يكفي من الصفات الملكية ويرغب بمساعدته لتحقيق حلمه. أمر الرجل بتجهيز أفضل عربة عنده، يقودها سائقه الخاص، ويجرها أقوى حصانان في الإسطبل. لاحظ "سامر" أن صاحب المزرعة ينظر إلى حذاءه

البالي وخشي أن يغير رأيه فلا يصطحبه لقصر الملك .. خلع الحذاء وألقاه بعيدا، ووقف حافيا. ظن الرجل أنها إحدى العادات في بلاد هذا الملك الغريب، فخلع هو الآخر حذاءه وركب العربة بعد "سامر".

عندما بلغا القصر، طلب صاحب المزرعة لقاء الملك شخصيا وأخبر الحرس أنه حضر بصحبة فخامة ملك البسلة. اندهش الملك عندما أبلغه الحراس بالأمر لأنه لم يسمع من قبل عن بلد تسمى "بسلة"، واعتقد أنها قد تكون مزحة ثقيلة، لكنه قرر أن يتحرى الأمر حتى لا يتسبب في مشكلات دبلوماسية إن كان الأمر صحيحا. لذا سمح لصاحب المزرعة و"سامر" بالدخول واستدعى وزيره الجديد ليعرف منه أخبار مملكة "البسلة".

بالطبع لم يكن الوزير قد سمع يوما عن مكان يسمى بـ"البسلة" لكنه كان قد أصبح وزيرا منذ عدة أيام فقط وخشي إن هو أخبر الملك أنه لا يعرف عنها شيئا أن يطرده ويعود للعمل في سوق البهائم من جديد، لذا قرر أن يخبره بأمور وهمية.

اقترب من كرسي الملك وقال وهو يتصنع الحكمة: "ماذا أخبرك يا سيدي عن مملكة البسلة! إنها مملكة كبيرة، تزرع كل أنواع الخضر والفاكهة، لكنها تشتهر بالبازلاء ..." قال الملك: "أخبرني عن ثروتها .. هل هي مملكة غنية؟!" كان الوزير يعرف أن الملك طماع وجشع وإذا أخبره أنها مملكة غنية سيغدق عليه

العطاء فقال: "إن بها مناجم من الذهب، وجبال من الفضة، وكل المواطنين يرتدون ملابس فاخرة، تماما كالملوك، ويحكمها ملك عجوز حكيم ...". نفخ حارس البوابة في البوق معلنا وصول الضيف. دخل "سامر" إلى بلاط الملك، ومن أمامه صاحب المزرعة يهرول وهو يفسح له الطريق ويلقي التحية بكلتا يديه.

اندهش الملك عندما وقع نظره على هذا الشاب الصغير، والتفت إلى وزيره مستفهما. استدرك الوزير بسرعة بديهة وهو يتفحص "سامر": "... لقد أخبرني رجالي الأوفياء منذ يومين أن الملك العجوز قد توفي وترك ابنه الشاب ملكا على البلاد ..." سكت للحظة ثم أضاف: "... لكنه شاب متدين جدا حتى أنه يمشي حافيا ولا يدوس على الأرض بحذاءه". سأل الملك: "لماذا؟!" قال الوزير وهو يفكر بسرعة: "لأن الإنسان مخلوق من طين والطين يكون على الأرض".

قام الملك من على كرسيه مُرحبا وقال وهو يصافح "سامر": "أهلا أيها الملك العزيز .. لقد كنتُ صديقا لأبيك حين كنت أنت صغيرا وقد زرت أرضكم بنفسي!". اندهش "سامر" لأن أباه لم يخبره أبدا أنه صديق للملك، لكنه ابتسم وحياه كما يحيي الملوك بعضهم.

جلس الملك مع ضيفيه إلى المائدة، وكان مشغولا بالكلام مع "سامر" فشعر صاحب المزرعة أن الفرصة لن تتح له ليتكلم مع الملك في شؤون تجارته، لأنه بعد أن يتغدى عليه أن يرحل كما هي العادات، لذا استغل الفرصة عندما قام "سامر" ليصلي المغرب واقترب من الملك وأخبره أن لديه تجارة كبيرة مع مملكة "البسلة" وأن هناك الكثير من الفرص التجارية بين البلدين.

لم يكن الملك العجوز مهتما بالتجارة فقد كان يسأل "سامر" طوال وقت الغداء عن نفسه حتى علم أنه ليس متزوجا، فقرر أن يزوجه ابنته الوحيدة ليضمن لها مستقبلا كبيرا خاصة أنه كان يشعر بدنو أجله لأنه مريض ولم يخبر أحدا.

أراد الملك أن يتأكد من كلام وزيره فسأل صاحب المزرعة بخبث: "ألا زالت جبال الفضة ومناجم الذهب كما هي في مملكة البسلة؟ فأنا لم أذهب إلى هناك منذ زمن بعيد!" قال صاحب المزرعة، وكان يريد أن يحظى باعجاب الملك: "نعم يا مولاي، لا زالت جبال الذهب والفضة كما هي، لكن الأهم هو تلال الياقوت والمرجان ..." ظهرت ملامح الدهشة على وجه الملك، فأكمل صاحب المزرعة: "... في آخر زيارة لي كادت عربة البضاعة أن تغرق في الياقوت" لمعت عينا الملك وتأكد أن "سامر" هو الزوج المناسب لإبنته. ثم ودع صاحب المزرعة بعد أن وعده أن ينظر في أمر رفع أسعار المحصول.

أصبح ما يشغل الملك الآن هو كيفية إقناع "سامر" بالزواج من ابنته. كانت العادات في بلاده أن يطلب الرجل يد البنت من أبيها. أخذ الملك يتباهى بقصره الفاخر والجواري والذهب والفضة والمزارع، لعل "سامر" ينبهر بما لديه ويطلب الزواج من ابنته، لكن كان "سامر" قد تعلم من الشيخ ألا ينبهر بمتاع الدنيا، لذا كان يهز رأسه في لا مبالاة حتى يئس الملك وسكت.

بدأ "سامر" يشرح للملك فلسفته ليصبح ملكا عادلا ومحبوبا من الشعب، ظنا منه أنه يستمع إليه لمساعدته في تحقيق حلمه. قرر الملك استغلال الفرصة وأخبره أن كل ملك في بداية حكمه يحتاج لملكة تكون بجانبه لتعينه على الحكم ليصبح محبوبا.

أرسل الوصيفة لاستدعاء ابنته الأميرة وطلب منها أن تجلعها ترتدي حجابا فوق رأسها؛ وتأتي بلا حذاء. عندما دخلت الأميرة قال الملك: "هذه هي ابنتي .. وهي متدينة جدا حتى أنها تخشى أن تدوس على الأرض لأن هناك بشر مدفونون تحتنا". اندهش " سامر" من هذا السلوك الغريب لكنه أعجب بجمال الاميرة وهي أيضا أعجبت بقوته ووسامته.

غادر الملك القاعة وترك ابنته تتحدث مع "سامر". قالت الأميرة: "لابد أنك شخص غني، لذلك يريدك أبي أن تعجب بي لتتزوجني" قال "سامر" وهو مندهش: "لا بالعكس، أنا لا أملك شيء، لكن الملك وافق على مقابلتي

ليساعدني كي أصبح ملكا أنا الآخر!" فهمت الأميرة أن هناك شيء خاطئ فهي تعرف أن والدها جشع لا يهتم إلا بالمال، فأخذت تطرح الأسئلة على "سامر" حتى فهمت كل شيء ثم شرحت له.

قال "سامر" بدهشة: "الملك يرغب في زواجك مني لأنه يعتقد أنني ملك، وإذا عرف الحقيقة سيطردني؟ لكنني أحببتك فعلا" قالت الأميرة بخجل: "وأنا أيضا". ثم اتفقا على خطة ليخدعا الملك ليسمح لهما بالزواج.

خرجت الأميرة إلى أبيها وهي تبكي وقالت: "لا أرغب في الزواج منه؛ إنه يريد أن يأخذني لمملكته، وأنا أريد البقاء هنا". وقال "سامر": "أنا لا يمكنني ترك مملكتي بلا حاكم!" اقترح عليه الملك أن يتزوج الأميرة ويمكث معها شهرا ثم يسافر إلى مملكته شهرا وهكذا، لكن "سامر" رفض وأخبر الملك: "من عادات مملكتي أن يبقى العروسان معا عاما كاملا لا يفترقان ولا يسافران ونحن نسميه عام العسل". فاقترح الملك أخيرا على "سامر" أن يبقى مع زوجته هنا، ويقوم هو بإرسال أحد رجاله المخلصين ليشرف على المملكة ويعود بأخبارها فوافق "سامر". وأوكل الملك تلك المهمة إلى وزيره المخادع؛ كونه الأعلم بشؤون مملكة "البسلة" .. بالطبع لم يكن الوزير يعرف أين هي مملكة "البسلة" ولا كيف يصل إليها فغادر البلاد ولم يعد.

تم زواج الأميرة من "سامر" وبعد خمسة أشهر مات الملك وأصبح "سامر" ملكا على البلاد. وأمر صاحب المزرعة أن يبقى عاما كاملا في خدمة المسجد يتعلم من الشيخ العجوز ليعرف أن هناك أشياء أهم من التجارة والمال، وأحضر أبيه وأمه ليعيشوا معه، وطلب من الطحان والحداد والنجار أن يعملوا في القصر، لينظروا إليه كل يوم ويتأكدوا أنه أصبح ملكا عادلا ومحبوبا.

للتواصل